الموت والحيـــاة

للاستاذ احمد امين

أبت عليّ نفسى أن تكتب اليوم إلا فى الموت ، وهل نتاج الكاتب إلا قطعة من نفسه ؟ يفرح فيرقص قلمه ، وينقبض فيسيل قلمه بالدمع ، وقد كرهت للقراء هذا العنوان فأضفت الى الموت الحياة ، ولست أدرى لمَ يلطف ذكر الحياة الموت ، ولا يلطف ذكر الموت الحياة !

دعا الى هذا أنى فجعت هذه الأيام بموت أصدقاء كأنهم كانوا على ميعاد ، وكأن لموت الأصدقاء أيضاً موسماً كسائر المواسم وإن لم يحدد زمنه ويعرف مداه

تنفســك تسمع ما حييــ ـتَ بهــالك حتى تكونه
والمرء قد يرجو الحيا ة مؤملا ، والموت دونه

وكان آخرهم صديق استعجل الموت فأنشب فى المنية أظفاره قبل أن تنشب فيه أظفارها ، وقطع حظه من الدنيا قبل أن تستوفى حظها منه ، لم يصبه سهم القضاء فأخذ السهم منه ورماه بنفسه فى نفسه فمضى سابقاً أجله — غربت شمسه ضحى ، واستكملت ساعته دقاتها قبل ميعادها

كان سرىّ النفس ، نبيل الخلق ، طيب العنصر ، يغبطه كل من عرفه على ما وهب من خلال ، وما تهيأ له من وسائل الرفاهة وأسباب النعيم ، وما دروا أن الأمر فى السعادة والشقاء الى مافى داخل النفس لا ما فى خارجها ، وأن نفوساً قد تشقى فى النعيم ، ونفوساً قد تسعد فى الشقاء.

جزعت لموته واستكنت للعبرة ، وفقدت بفقده السلطان على دمعى وقلبى ، فرحمه الله ورحمنى .

***

ولكن ما الجزع من الموت وقد طال عهدنا به ، وعرفه بنو آدم منذ عرفوا الحياة . ولمَ لم يألفوه ما ألفوا كثيراً من المر حتى اعتادوه ، وليس الموت فى ذاته مراً ولا أليما ، وكما قال أحد الرواقيين «ان الموت هو وحده المصيبة التى لا تمسنا ، ففى حياتنا لا موت ، واذا جاء الموت فلا حياة » وقد نظم المتنبى هذا المعنى فقال :

والأسى قبل فرقة الروح عجز
والأسى لا يكون بعــد الفراق

ولكن أعظَمَ الناسُ شأن الموت لما أحاط به من ظروف ، وما اتصل به من خيالات ، وأثير حوله من رعب — بالغ بعض من رجال الدين فى تفظيع الموت ، وهولوا من شأنه تهويلا تنخلع له القلوب ، وتقشعر منه الجلود ، لانهم رأوا فى ذلك درساً قاسياً يردع المجرم عن اجرامه ، ويزع الآثم عن اثمه ، ولكن أخشى أن يكونوا قد أفرطوا افراطا شل النفس وأشاع فيها اليأس . وانهم — وقد عهد اليهم أن يعادلوا بين الترغيب والترهيب — قد أرهقوا كفــة الترهيب حتى ثقلت وهوت ، وخففوا كفة الترغيب حتى شالت وعلت — ولعل هذا كان من الاسباب التى جعلتنا نتسخط الحياة ونتبرم بها . ثم ما هذه الاخلاق التى هى أشبه ما تكون بأخلاق العبيد ! لا ندعى للخير الا بالعصا ، ولا تطلب منا الفضيلة الا بالسياط ؟ أليس خيراً من ذلك أن يحدونا الى الخير الحب . لا أن يسوقنا اليه الرعب ؟

ثم زاد الموت سوءا ما أحاطه به الاحياء من مظاهر الفزع والألم ، فصراخ تنفطر له المرائر ، وبكاء يذيب لفائف القلوب ، والناس حول الميت بين ساهم البصر ، ومطرق الطرف ، ومكروب النفس ، وناكس الرأس ، يتأوه الآهة تتقصف منها ضلوعه ، ويزفر الزفرة تتصدع منها نفسه — لست أظن ان هذا وأمثاله من طبيعة الانسان ، قد يكون من طبيعته الحزن على فقد القريب والصديق ، ولكن ليس من طبيعته الجزع ، فلو اعتاد قوم ان يقابلوا الموت كما يقابلون أية ظاهرة طبيعية فى الحياة لزال الجزع وخف الالم ، كما حدث عند بعض الامم ، استطاعوا أن يضبطوا عواطفهم وينفقوا من الحزن بقدر ، وأن يرددوا

قول القائل ، مات الميت فليحى الحى ، وتفاخروا بالجلد كما تتفاخر بالجزع ، وتواسوا بالثبات كما تتواسى بالهلع

ثم كان من الادباء ما كان من رجال الدين : حزنوا للشيب اذ فقدوا الشباب ، أكثر مما فرحوا بالشباب يوم أن كان ، ووقفوا فى مراثيهم موقف الناديات فى المآتم ، يعجبون كيف كان الموت وكيف نزل ، ويلهبون عواطف الناس ، ويثيرون أشجانهم ، ويعدون أقدرهم على القول وأقربهم الى الاجادة من عرف كيف يستخرج الدمع ويستنزف الشؤون ، فكان من هذا وذاك افساد عواطف الناس نحو الموت ودفعهم الى التغالى فى المشاعر

ثم أخطأ الناس فى القياس ، فظنوا أن النفس تألم فى الحياة الاخرى بما تألم به فى الحياة الدنيا . ظنوا أن القبر يوحش بعزلته كما يستوحش الحى من عزلته ، وان القبر يرهب بضيقه وظلمته ، كما يتبرم الحى بضيق المكان وظلمته ، وأن الميت يألم من البرد القارس كما ألم ، ويضجر من الحر القاسى كما ضجر ، وغاب عنهم ادراك الفرق بين الحياتين ، والاختلاف الواسع بين الطبيعتين

اذا افترقت أجزاء جسمى لم أبل
حلول الرزايا فى مصيف ولا مشتى

* * *

ان تفظيع الموت يدعو الى نوع من الحياة لا هو حياة ولا هو موت ، ولعل كثيراً من رذائل الشرق سببه ما اعتاده قادتهم من تهويل الموت وتفظيع شأنه ، والا فما الذى يجعلنا نرضى بالعيش الذليل بين أحضان آبائنا وأمهاتنا ولا نتطلب العيش السعيد بالهجرة والارتحال ؟ وما الذى يدعونا الى الفرار من المغامرة فى شؤون الحياة ، والركون الى عيش الدعة والاطمئنان ، الى كثير من امثال ذلك ؟ لاشىء الا التغالى فى الخوف من الموت ، التغالى فى تهويل الموت

لقد جل خطب الحياة ان كان كلما مات قريب أو صديق ذابت النفس حسرات ، وأظلمت فى وجهنا الدنيا ، وتطرق الينا اليأس .

لا . لا . اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وتباً لهؤلاء الذين يخلعون قلوبنا بالموت فنكون طعمة لمن يحبون الحياة ولنبدأ دعوة جديدة قوامها العمل للحياة و « لا بأس بالموت اذا الموت نزل » .

أحمد أمين

الانقلاب الجمهورى فى اسبانيا

٢ — حرب الريف الى قيام الجمهورية

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت جوادث مراكش كابوس السياسة الاسبانية منذ نهاية الحرب . وكان لها أكبر أثر فى تطور الحوادث التى انتهت بظفر الديموقراطية وقيام الجمهورية ، وما زلنا نذكر تلك الحرب التحريرية العجيبة التى شهرها عبد الكريم زعيم الريف على اسبانيا مدى أعوام ، ودحر خلالها الجيوش الاسبانية مراراً ، وكاد يظفر بسحق سيادة اسبانيا فى شمال مراكش لولا أن تألبت عليه قوى الاستعمار أخيراً واتحدت فرنسا مع اسبانيا على محاربته وسحقه ، فكان ما أراد الاستعمار .

وكانت اسبانيا تعانى فى بلاد الريف (شمال مراكش) منذ احتلالها متاعب جمة من جراء ثورة القبائل وتضطر دائما إلى الاحتفاظ بجيش ضخم ، ولكن أول نكبة حقيقية نزلت بالجيش الاسبانى فى بلاد الريف ، وقعت فى أنوال سنة ١٩٢١ ، ففيها هاجم عبد الكريم زعيم الريف مراكز القوات الاسبانية فى تلك المنطقة ، وكانت تبلغ زهاء تسع عشرة ألفا ، فرتها واستولى على مراكزها وذخائرها ، وقتل منها نحو ستة عشر ألفا ، وفر الباقون فى مختلف الانحاء ، وانتحر قائدها الجنرال سلفستر . وكان محمد بن عبد الكريم الخطابى من أبناء بنى أراغيل ، رباه أبوه تربية حسنة ، ودرس اللغة الاسبانية ، والتحق بوظيفة فى الادارة الاسبانية بمليلة ؛ وفى سنة ١٩١٩ وقعت بينه وبين الجنرال سلفستر مشادة حادة وأهانه القائد ، ففر من مليلة وهو يعتزم الانتقام ولحق بأخوه (محمد أيضا) وهو